

زيارة الإمام الحسين بين التحفيز القوليّ
والمُعتقد الطقسيّ (دراسة تحليلية)

د. زينب علي حسين الموسويّ

جامعة القادسية/ كلية الآداب

smeraslmen1955@gmail.com

ملخص البحث

في هذا البحث عمدت إلى دراسة آثار الزيارة في روحانيّة الموالي ومدى اشتغال عامل التحفيز الذي سنه أهل البيت عليهم السلام بنصّوصهم القوليّة، لذا قسّمته على محورين الأول بعنوان :- ثواب العطاء على وفقِ روحية التواصل الدنيويّ. إذ يتناول العطاء الذي يمنحه آل البيت عليهم السلام إلى كل موال يتعامل روحياً وليس نفعياً مع الإمام ويشعر بفخر الانتماء إلى مذهبه . والمحور الثاني جاء بعنوان :- ثواب العطاء على وفقِ روحية التواصل الأخرويّ. إذ يتناول العطاء الأخروي الذي يناله الموالون لآل البيت عليهم السلام في الآخرة، وهذا ديدن تمسكهم وعمق إيمانهم الروحي بمبادئ آل البيت، إذ يجدون في يوم الحساب من يُخفف عنهم عذاب القبر ووحشة ظلمته .

الكلمات المفتاحية : الإمام الحسين ، التحفيز ، المُعتقد .

Imam Hussein's Visit: Between Verbal Motivation and Ritual" Belief - An Analytical Study

Dr. Zainab Ali Hussein Al-Mousawi
University of Qadisiyah / College of Arts

Abstract

of the research in English / the visit of Imam Hussein between verbal motivation and ritual belief (analytical study)

In this research, I intended to delve into the details of the effects of the Zyara on the spirituality of the followers and the extent to which the stimulus factor enacted by Ahl ul-Bayt (peace be upon them),so I divided it into two axes. The first axis was titled: The constants of giving in accordance with the spirit of subcelestial communication. As it deals with the giving that Ahl ul-Bayt (peace be upon them) bestows on each loyalist who deals spiritually and not utilitarian with the imam and feels the pride of belonging to his sect. The second axis was titled: The constants of giving in accordance with the spirit of eschatological communication. It deals with the eschatological giving that the loyalists of Ahl ul-Bayt (peace be upon them) receive in the afterlife, and this is the extent of their adherence and the depth of their spiritual faith in the principles of Ahl ul-Bayt (peace be upon them), as they find on the Day of Judgment someone who will relieve them of the torment of the grave and the loneliness of its darkness.

Keywords: Imam Hussein, motivation, belief



المقدمة

إن طقسية زيارة الإمام الحسين تتجاوز المديات الزمكانية ، لذا نرى في هذا الطقس روحانية كبيرة تجعل الموالي على اعتقاد وتيقن كبير، بقرب الإمام روحياً فهو يسمع نداءهم ويُلبي دعواتهم ويُزيح الهم عن كاهلِ ائقالمهم ، فمن يُبحر صوبه لا يشعرُ فقط بعمق المصيبة التي تعرض لها الإمام مع آل بيته عليهم السلام، بل يتأمل العطاء الرباني الذي اكرمه الله عز وجل للإمام ، إذ جعل قبره مناراً ومحراباً لقلوب المؤمنين، فيقصدون قبره بكل ما أتوا من لطفة وعشق، فهم حين يؤدون هذا الطقس يؤدون بوصفه واجباً وفريضة تُجسد عمق تمسكهم بالإمام، وتوضح خصال اعتقادهم بمبادئ آل البيت عليهم السلام .

في هذا البحث عمدت إلى الخوض بمفاصل آثار الزيارة في روحانية الموالي ومدى اشتغال عامل التحفيز الذي سنه أهل البيت عليهم السلام بنصوصهم القولية، لذا قسّمته على محورين

المحور الأول بعنوان :- ثوابت العطاء على وفق روحية التواصل الدنيوي. إذ يتناول العطاء الذي يمنحه آل البيت عليهم السلام إلى كل موال يتعامل روحياً وليس نفعياً مع الإمام ويشعر بفخر الانتماء إلى مذهبه .

والمحور الثاني جاء بعنوان :- ثوابت العطاء على وفق روحية التواصل الأخروي. إذ يتناول العطاء الأخروي الذي يناله الموالون لآل البيت عليهم السلام في الآخرة، وهذا ديدن تمسكهم وعمق إيمانهم الروحي بمبادئ آل البيت، إذ يجدون من يُخفف عنهم عذاب القبر ووحشة ظلمته، وكذلك يوم الحساب .

حين نتحدث عن زيارة الإمام الحسين ولاسيما التي اقترنت بالأربعين علينا أن نطلع على التاريخ إذ نلاحظ انه « لم يعرف التاريخ الإسلامي - على تنوع مجتمعاته عبر الزمان والمكان - المظاهر الاحتفالية في أربعينية مصيبة الموت، سواء أنشبت المنية أظفارها في الرموز الدينية أو السياسية أو الاجتماعية، قبل الإمام الحسين وبعده، الا في عصرنا الحاضر، فقد أضحت منجى اجتماعياً في البلاد العربية؛ أما أنها اختصت بتراجمية الامام الحسين، منذ بضعة عشر قرناً، فإنها تحصلت من جملة الأسباب السياسية والاجتماعية والدينية، التي ذكرناها من قبل، فضلاً عما رفقته مصادر التاريخ من ممارسات، واضطلعت به مصادر التراث الشيعي من روايات. في زيارة الأربعين حيث الملايين تتدفق من كل حذب وصبوب الى زيارة مشهد الحسين، تستلهم معالم الدين الحق، وتتجلى معاني الثورة على الظلم، يطفق الى واعية الجمهور مأثور القول: «الإسلام محمدي الوجود، حسيني البقاء»، فهو الرابط المقدس بين التأسيس، والتأصيل، والاستشراف، وهذا منطق وجوده السيميائي، ولا مندوحة من أن له علاقة وثيقة بالرسول الأكرم نسبا، وسيرة، وسنة؛ فمن الحديث النبوي: «حسين مني وأنا من حسين»، إذ يشير إليه؛ لأن ما قاساه سيد الشهداء، إننا هو لتوطيد اسس الإسلام، واكتساح أشواك الباطل عن صراط الشريعة، وتنبية الأجيال على جرائم أهل الضلال، هو عين ما نهض به نبي الإسلام لنشر الدعوة الإلهية. وأن إثبات الوجود الحسيني، وحركة الجمهور المليون في مخيال الوجد المقدس لقلوب مالت إليه، لتتصل بالذات الإلهية «(١) (د. صادق، ٢٠١٨م، ١٥٥). وأما مصطلح التحفيز فحين ننظر إليه علينا أن نقف على دلالاته اللغوية على وفق معاجم اللغة، فيقول ابن فارس (ت٣٩٥هـ): «الحاء والفاء والزاي، كلمة واحدة تدل على الحث

وما قرب منه» (٢) (أحمد بن فارس، ١٩٨١م، ٢ / ٨٥). وتكاد تتفق المعاجم وكتب اللغة على أن الحفز هو الحثُّ والإعجال، فيقال: حفزه إلى الأمر: أعجله وحثه عليه (٣) (محمد بن محمد، ١٥، ١٩٦٥ / ١١١، محمد بن مكرم، ١٩٦٨، ٥ / ٣٣٧). والحفْزُ أيضاً: حَثُّ الشيء من خلفه، سَوَقاً وغير سوق، ويقال: حَفَزَهُ يَحْفِزُهُ حَفْزاً (٤) (محمد بن مكرم، ١٩٦٨، ٥ / ٣٣٧).

ونلاحظ من خلال ما سبق من كلام أهل اللغة أن التحفيز المادي هو: كل مقابل مادي يدفع ويحث على فعل ما، أو تحقيق هدف ما والمادي خلاف المعنوي (٥) (إبراهيم مصطفى، ١٩٩٣م، ٢ / ٦٣٣). وأما على وفق دلالة المصطلح اصطلاحياً إذ نلاحظ كثرت تعريفات التحفيز من قبل العلماء والباحثين، بحسب اجتهادهم، فيرى الدكتور الفقي أن التحفيز: «هو مولد النشاط والفاعلية في العمل، وهو من الطرق النشطة للحصول على أفضل ما لدى الغير، سواء كان ذلك يتعلق بالأمر المادية أو المعنوية». (٦) (إبراهيم محمد السيد، ٢٠١١م، ٥) بينما يرى غيره أن التحفيز هو الشعور الداخلي لدى الفرد الذي يولد فيه الرغبة لاتخاذ نشاط أو سلوك معين يهدف منه الوصول إلى تحقيق أهداف معينة». (٧) (عبد القادر علاقي، ٢٠٠٧م، ٤٧٦). وذهب عالم النفس في الإدارة إلى أن التحفيز هو: «العملية التي تشجع وتوجه السلوك». (٨) (ماكس إيه، ١٩٩٨م، ١) وهناك من يتوسع قليلاً في معنى التحفيز، فيرى ستيرز ومورتر أن التحفيز دفع الفرد لاتخاذ سلوك معين أو إيقافه أو تغييره (٩). (عبد القادر علاقي، ٢٠٠٧م، ٤٧٦) وهذا الاصطلاح مبني على أن التحفيز إماً ايجابي يدفع نحو سلوك معين، أو سلبياً يدفع نحو تغيير سلوك أو إيقافه.

وهذه التعريفات وإن اختلفت في صياغتها فانها تكاد تلتقي في أن التحفيز هو

كل ما يولد الرغبة في فعل معين أو سلوك معين ماديا كان أم معنويا، وهذا المعنى لا يختلف كثيرا عن المعنى اللغوي . وأما مصطلح المُعتقد فهو على وفق دلالة اللغة يرجع إلى مُصطلح العقيدة بعدة من معان: منها الربط والشد والثاق ، قال ابن فارس: «(عقد) العين والقاف الدال أصل واحذ يدل على شدٌ وشدّة وثوقٌ، وإليه ترجع فروعُ الباب كلها(١٠) (أحمد بن فارس، ١٩٨١م، ٤ / ٨٦) وقال ابن منظور: تقيض الحَلُّ ؛ عقده يعقده عقدا وتعقاداً وعقده..» (١١) (عبد القادر علاقي، ٢٠٠٧م ، ٤٧٦). وقال ابن فارس: «...وعاقدته مثل عاهدته، وهو العقدُ والجمعُ عقودٌ» (١٢). (أحمد بن فارس، ١٩٨١م، ٤ / ٨٦) قال الله تعالى: ﴿أوفوا بالعقود﴾ (١٣) (المائدة، آية : ١) . «أي: بإكمالها، وإتمامها، وعدم نقضها ونقصها» (١٤) (محمد بن مكرم، ١٩٦٨، ٣ / ٢٩٦). وأما الطقس كدلالة عقدية نلاحظ أنه يدل على عادات مجتمع معين وتقاليده ويمثل الطقس الجانب العملي في الدين او هو جانب الممارسة في الحياة الدينية. ويعني ايضا « كل الاحتفالات المرتبطة بمعتقدات متصلة بالماورائي أكثر من دلالاتها على مجرد عادات اجتماعية وهي أنماط من العمل المتكرر يتسم بنوع من الثبات » (١٥) (عبد الرحيم بوهاها، ٢٠٠٩م، ٢٢) . لكننا حين نُمعن النظر في المعاجم العربية القديمة، لا نجد هناك أثراً للمُصطلح (الطقس) وإنما توجد هناك دلالات بدلها قريبة تحمل سياقات لا تخرج عن محورية الدين مثل (الشعائر) و(المناسك) اللذان تشتركان في الدلالة على أفعال العبادة والتقرب الى الآل وان مصطلح (الشعائر) هو التعبير الإسلامي الشائع لمفهوم (الطقوس)، ويُعنى به أفعال العبادة التي يقوم بها المؤمن استجابة لأمر ديني مقدس وواجب شرعيّ تكليفيّ مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج (١٦) (عبد الرحيم بوهاها، ٢٠٠٩م، ٢١، ٢٤، ٣٦).

وما نحن الآن بصدده هو الطقس الشيعي المتمثل بزيارة الإمام الحسين عليه السلام، فهو يخرج عن كونه عادة أو ممارسة اجتماعية زرعها الوعي الديني أو المعتقد الشعبي في نفوس ابنائه، بل هو فعالية إنسانية وتسام روحي ووعي متكامل المعنى لصيق في الذاكرة ومتكامل في منظومة ذاكرة الجمع. إذ يرون في الإمام الحسين المثال الحي والطاقة المتجددة التي تُعيد لهم توازنهم الاجتماعي .

المحور الأول

ثوابت العطاء علمي وفق رُوحية التواصل الدينيّ .

إنّ التحدث عن ثوابت العطاء في خطابات الإمام الصادق عليه السلام يتطلّب منا الوقوف على آلية المصطلح لغويّاً فنلاحظ أنّ اللغة ترى في العطاء أنه « مأخوذٌ من العطو: وهو التناول، يقال: عطوت الشيء أعطو: تناولته، وفي الأثر: (أربا الرّبا عطو الرّجل عرض أخيه بغير حقّ) (١٧) (مجد الدين بن محمد، ١٩٨٥م، ٣/ ٢٥٩). أي: تناوله بالذم ونحوه، وهو في اللغة: « اسم لما يعطى به، والجمع عطايا، وأعطية وجمع الجمع: أعطيات» (١٨). وأما اصطلاحاً فلم يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي في أنّ معناه يدور حول المناولة، قال ابن العربي: « حقيقة العطاء هي: المناولة، وهي في اللغة والاستعمال عبارة عن: كل نفع أو ضرر يصل من الغير إلى الغير» (١٩) محمد بن عبد الله، ٢٠٠٣م، ٤/ ٤٠٦). وقال المناوي: « العطاء: التناول، والمعاطاة: المناولة، لكن استعملها الفقهاء في مناولة خاصة» (٢٠) (زين الدّين محمد، ١٩٩٠م، ٢٤٣). والعطاء نوعان: العطاء العام: وهو ما يكون للخلائق عامة، والعطاء الخاص: وهو ما كان خاصّاً كإجابة الدعاء، وتحقيق مطلب الأنبياء، والإئمة والصالحين .

فالإنسان الموالي لمذهب آل البيت عليه السلام لديه رؤى وقناعات خاصة تُمثّل مذهبه وآليات الركوز في البيئته التي نمت هذا المعتقد وعززت آثاره الروحية بذاته، فحين نلاحظ خطابات آل البيت عليه السلام في حث الوجوب والتواصل الروحانيّ مع اضرحة آل البيت، نتلمس المزايا الحقّة ونشعر روحانيّاً بأن طريق آل البيت هو المسار الحقّ والواجهة العقديّة التي تُحقّق المعرفة النورانيّة والتي على ضوئها خصهم الله

بالمعجزات والكرامات وليس ذلك فحسب بل اجتباهم وفضلهم على سائر خلقه .

فمن ثوابت العطاء الروحانية التي خصها الله تعالى لآل البيت عليهم السلام، كثيرة وهي دلالة على منهجهم الحق القائم على أساس العدل ودحض الباطل، فالإئمة عليهم السلام وظفوا خطاباتهم في الحث على زيارة الإمام الحسين « لما لزيارة الحسين عليه السلام من فضل كبير وأجر جزيل، كما صرحت بذلك العشرات من الروايات عند الفريقين وربما كان مثل هذا الأمر واحدا من عطاءات الله عز وجل للحسين عليه السلام بعد أن أرخص كل شيء من أجل الله عز وجل في محاربة المنكر وإقامة المعروف والوقوف أمام الظلم والفساد والانحراف الذي أخذ يدبُّ في العالم الإسلامي إبان وصول بني أمية إلى سدة الحكم، وما يمكن أن يتبعه من آثار مدمرة ربما تؤدي إلى القضاء على الإسلام بشكل كامل، حتّى ختمها بأعظم وسام خصه الله عز وجل لعباده إلا وهو وسام الشهادة» (٢١) (حيدر، ٢٠١٥م، ٢١) . فحين نرجع إلى أقوال آل البيت عليهم السلام، نلاحظ مُهيمنات العطاء في الخطابات القولية، وأول هذه الخطابات التي نشعر فيها بدفع الضير والأذى عن الموالي هي:-

١. دفع الغرق والهدم والحرق وأكل السبع .

عن أبي جعفر محمد بن علي -الإمام الباقر- عليه السلام أنه قال:- « مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليه السلام؛ فإنَّ زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع » (٢٢) (محمد بن علي بن موسى ١٩٩٦م، ٢٠٦) .

إن هذا الخطاب يتمحور حول العطاء الذي يناله الموالي الحريص والمتفاني في زيارة آل البيت عليهم السلام لكنَّ أي موالي؟! الموالي الذي يأتي بروحية خالصة ومحبة طقسية تسمو بالإحساس العقدي، وتشعر بقرب الإمام من قلوب مواليه، فحين يتحقق

هذا الجو الروحانيّ، ستكون آثار الزيارة مشروطة بدفع الضير والأذى الدنيويّ بدلالة قول الإمام الباقر عليه السلام إذ جعل الحضور الروحانيّ للموالي هو الكفيل بالنجاة من الموت ودفع كل أذية للنفس ومحو كل سقوطٍ في البلاء .

٢. دفع الهم وزيادة في الرزق

عن أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام في حديث طويل قال عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام :- «ومن زاره كان الله من وراء حوائجه وكفى ما أهمه من أمر دنياه، وإنه ليجلب الرزق على العبد، ويخلف عليه ما أنفق..(٢٣) (محمد باقر، ١٩٨٣م، ٢/ ٩٨) .

هذا الخطاب يركز على سياقات التوكل على الله لكن مديات التوكل تتعالق نصياً مع الموالي المواظب على زيارة الإمام الحسين، إذ يمنحه الله بواسطة الإمام الرزق، ويمد له أواصر البركة والنعمة والعوض الوفير فيصبح الموالي أكثر قوة ومعاشاً، وليس هذا فحسب بل عمق التواصل يُزيح ستار الهم والقلق فيمنح الموالي راحة نفسية وسمواً ذاتياً .

٣. الإقرار بالإمامة

قال الإمام الباقر عليه السلام :- «مُرُوا شِيعَتَنَا بِزِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام ؛ فَإِنْ إِيْتَانَهُ مَفْتَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ يُقَرُّ لَهُ بِالْإِمَامَةِ مِنْ اللَّهِ» (٢٤) . (الحسن بن يوسف، ١٩٩٩م، ٢/ ١٢٢)

إن الإمام الباقر عليه السلام، قد صاغ خطابه على وفق سياقات القول الداعي المُشجّع على المضي إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام، وليس هذا فحسب بل أصبحت زيارته واجبة على كُلِّ موالي يشعر ويُصدّق ويدرك بالعقل إمامتهم وفروض طاعتهم ؛ لكونهم المرشدين إلى طريق الهداية والصلاح، والمُجنّبين الموالي طرق الخطأ والضلال .

٤. زيادة في البركة وثبوت الخير في كل شيء.

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) سائلاً أحد زوّار الحسين (عليه السلام): « وما ترون في زيارته؟ قال: نرى في زيارته البركة في أنفسنا وأهالينا وأولادنا وأموالنا ومعاشنا وقضاء حوائجنا... (٢٥) (محمد بن جعفر ١٩٩٨، ٣٣٣).

إن تحقيق النماء والزيادة في الخير تكون بناءً على التواصل الروحي مع قبر الإمام الحسين (عليه السلام)، لذا استعمل الإمام آيات التخاطب القوي مع الآخر الموالي؛ لكي يُبين للمتلقي مدى روحانية العطاء الذي استشفه من النفوس المتلمسة لآثاره، فالتبرك شمل كل الأشياء التي تُحقق للموالي السعادة والرفاه.

٥. وجوب الحضور الفعلي للرجل والشراكة العقدية للمرأة

فقد ورد « عن محمد بن جعفر الرزاز، عن محمد بن الحسين، عن أبي داود المسترق، عن أم سعيد الأحمسية، قالت: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): يا أم سعيد تزورين قبر الحسين (عليه السلام)؟ قالت: قلت: نعم، قال: يا أم سعيد زوريه فإن زيارة الحسين واجبة على الرجال والنساء» (٢٦) (محمد بن الحسن، ١٩٨٣، ١٠ / ٣٣٦).

إن هذا الخطاب، قد قام على مفهوم الثنائية السياقية بناءً على أنظمة صانع الخطاب الإمام الباقر (عليه السلام) ومُتلقي الخطاب (أم سعيد)؛ ليكشف عن المبدأ الروحي والنتاج الفكري الذي تصنعه طقوس زيارة الإمام، فالسير نحو الإمام لا ينفرد على فئة واحدة من الرجال، بل يُشرك المرأة ويعمد إلى توطين وجوب حضورها الفعلي؛ لأن خاصة الطقس الروحاني للزيارة، يتجاوز مديات المتعة، إذ لا يعد تغييراً على مستوى جغرافية المكان أو نزهة وقتية للذات، بل هو تفكير وإعادة بناء للوعي، بلحاظ أن الرجل والمرأة هم المؤسسة الفكرية وسلطة القيادة الناضجة، التي تقود المجتمع وتنور مساره على أساس تربوي وهدف أخلاقي

المحور الثاني

ثوابت العطاء على وفق روحية التواصل الأخروي .

نحن نعلم أن زائر الإمام الحسين (عليه السلام) يحمل من العاطفة واليقين ما لا يحمله شخص آخر، لذا تراه حتى إن تجرد من كل مُسميات العطاء، واصبح مسيره نحو الحسين خطوة دون جهد وقطع مسافة دون إثابة، فهو لا يتوقف عن آلية السير ولا يجعل النفعية عماد توجهه، هذا ما ينطبق على الموالين الخُلص، الذين يرون في آل البيت (عليهم السلام) قبلة وفرضاً يكمل شرعية التزامهم الديني ويوثق تواصلهم الروحي مع مبادئ آل البيت . لذا حرص آل البيت ومنهم الإمام الصادق (عليه السلام) على زرع روحية الزيارة وعمق أثرها في نفس الموالي، لذلك وثق نصوصه الخطابية بمزايا العطاء والكرم الذي يناله الموالي المخلص المتمسك بزيارة الإمام الحسين، والذي يتوجس خيفة من عذاب الآخرة، لذا أكرم الإمام الحسين أخروياً زائريه على وفق الآتي :-

١. مبدأ الثواب على وفق روحية التواصل مع الإمام .

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سمعته يقول: « من أراد أن يعلم أنه من أهل الجنة فليعرض حبنا على قلبه، فإن قبله فهو مؤمن، ومن كان لنا محبا فليرغب في زيارة قبر الحسين (عليه السلام) فمن كان للحسين (عليه السلام) زوارا عرفناه بالحب لنا أهل البيت، وكان من أهل الجنة» (٢٧) (محمد بن الحسن، ١٩٨٣م، ١٠ / ٣٣٧).

إن حرفية التواصل الروحي مع الإمام الحسين (عليه السلام)، يركز على مفاهيم تسمو بمحبة قلبية واعتقاد يقيني التوجه، بحقيقة هذا الارتباط ومدى سلامته من الغايات النفعية، فالإمام الصادق (عليه السلام) حين تعامل مع الآخر الموالي حقاً لمذهبهم، ليس على وفق طقوس مكانية يؤديها الموالي؛ كي يكسب اجرة رحلته، بخلاف ذلك قد جعل الإدراك

بالقلب والمحبة الاعتقادية الصادقة، هي الوسيلة الوحيدة التي تقود الموالي الزائر إلى بر الجنان، فيُثاب بالجنة لحسن اعتقاده وتواصله الروحي مع الإمام. وفي قول آخر عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) انه أتاه رجل فقال: «هل يزار والدك؟ فقال: نعم، فقال فما لمن يزوره؟ قال: الجنة إن كان يأتهم به» (٢٨) (محمد باقر، ١٩٨٣م، ٤ / ٩٨).

هنا يسير الخطاب على وفق آلية التساؤل عن روحية التواصل مع الإمام الحسين (عليه السلام)، فالسائل هنا يريد من الإمام الصادق (عليه السلام) الإجابة عن حق الإثابة الأخرى لمعرفة عمق مكانة الإمام عند الله ومرتبة وجاهته عند مواليه، فالموالي لا ينال الجنة إلا بتحقيق شرط الاعتقاد الروحي للإمام بإتباعه والاعتداء به.

٢. افتقار الثبات في الجنة على وفق الجفاء الروحي مع الإمام.

عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) «قال: من لم يأت قبر الحسين (عليه السلام) وهو يزعم أنه لنا شيعة حتى يموت، فليس هو لنا بشيعة، وإن كان من أهل الجنة فهو من ضيفان أهل الجنة» (٢٩) (محمد باقر، ١٩٨٣م، ٤ / ٩٨٤).

هنا الخطاب يسير بناءً على سياق النفي، ولكن! أي نفي؟ هو نفي وامتناع عن زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) لكن هذا الامتناع قد تأسس وتجدّر في النص، بناءً على ذنبه الاعتقاد وعدم تيقن الشخص الجافي بمكانة الإمام، فالادعاء بإتباع الإمام الحسين هو ليس ادعاءً لفظياً بل مُناجاة روحية وتمسك عقدي بمبادئ الإمام، فالتمسك الشكلائيّ بالإمام، يجعله في حالة افتقار للثبات في الجنة، فالتمسك بالإمام روحياً هو تمسك بالعمل الصالح وكل ما جاء به كتاب الله، وهذا ما يكسبه الجنة.

وهناك قول آخر عن ترك زيارة الإمام الحسين، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «سألته عن ترك زيارة قبر الحسين عليه السلام من غير علة قال: هذا رجل من أهل النار» (٣٠) (محمد باقر، ١٩٨٣م، ٥ / ٩٨).

إن الإمام الصادق يُريد أن يُعظم روحانية الزيارة في ذات الموالي، لذا حرص في قوله هذا والقول الذي سبقه، على بيان عمق الجفاء وآثار سلبياته في المسلم، فهنا كشف عن نسقية الجفاء عبر أثر الترك المتعمد لقبر الإمام الحسين عليه السلام، لذا وصف الجافي بسيمياء أهل النار؛ لكي يجعله من الفئة الكافرة والمشركة والظالمة والصادة عن سبيل الله؛ وهنا نلاحظ عمق مكانة الإمام وروحانية عطائه، لذا اكرمه الله واجتبه وفضلها إذ جعل الابتعاد عن قبره هو عمل مُنكر يقوده إلى نار جهنم.

٣. الشعور بالأمان من أهوال يوم القيامة وإكرام الملائكة له بالبشارة.

عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: «ما تقول فيمن زار أباك على خوف؟ قال: يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن هذا يومك الذي فيه فوزك» (٣١) (جعفر بن محمد، ١٩٩٦، ٢٤٢).

إن التشكيل القولي في هذا السياق يقوم على مفردة (الخوف) لكن! أي خوف؟! هو شعور ذاتي يشعره المسلم حين يتوجس خيفة من الآخرة، لذا جعل الإمام الصادق عليه السلام زيارة الحسين عليه السلام هي السبيل المشروط للخلاص من هذا الهاجس، لذا ضمّن قوله بخطاب قرآني: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٢) (فصلت ٣٠: ٣٠) كي يؤكد روحانية الانتماء للإمام وعمق زيارته في نفوس مواليه، فزائر الحسين تُبشره الملائكة بالجنة التي كانوا يوعدون بها في الدنيا، لكن الحصول عليها كان

مُستنداً إلى تمسكهم بكتابِ الله والاستقامة في طاعته، والتزامهم الروحانيّ لمبادئ آل البيت عليهم السلام.

وهناك قول آخر ورد عن ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « قلت له: إني أنزل الأرجان وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك، فإذا خرجت فقلبي مشفق وجل حتى أرجع خوفاً » من السلطان والسعاة وأصحاب المصالح فقال: يا ابن بكير أما تحب أن يراك الله فينا خائفاً، أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظله الله في ظل عرشه، وكان محدثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه الله من أفزاع القيمة، يفرع الناس ولا يفرع، فإن فرغ وقرته الملائكة، وسكنت قلبه بالبشارة» (٣٣) (محمد باقر، ١٩٨٣م، ١١ / ٩٨).

هذه الخطابات توثق مكانة الإمام الحسين عليه السلام، وتُعظّم من نسق إتباعه، فزائر الإمام يعتره خوف الله؛ لأنه يعلم أن مصدر تقربه للإمام هو ميثاق الالتزام لكل تعاليم الله، وعليه فإن الإمام المكمل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو الإمام العادل الذي يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وليس هذا فحسب بل هو مُحَدَّث لمواليه من تحت العرش ومصدر أمان وسكينة لأهوال يوم القيامة، فحين يُصاب زائر الحسين بالذعر، تُسعفه الملائكة بالإكرام والتعظيم والتبجيل وتحملُ إليه بشارة الجنة.

٤. أداء الحجّ بين تحقيق الأثر الإيمانيّ أو بطلانه

بسند معتبر عن بشير الدّهان قال: « قلت للصادق صلوات الله وسلامه عليه: ربما فاتني الحجّ فأعرف عند قبر الحسين عليه السلام، قال: أحسنت يا بشير أيّما مؤمن أتى قبر الحسين صلوات الله عليه عارفاً بحقه في غير يوم عيد كتب له عشرون حجةً وعشرون عمرة مبرورات متقبّلات وعشرون غزوة مع نبيّ مرسل أو امام عادل، ومن أتاه في يوم عرفة عارفاً بحقه كتب له ألف حجةً وألف عمرة مبرورات متقبّلات

وألف غزوة مَعَ نبيِّ مرسل أو امام عادل . قال : فقلت له : وكيف لي بمثل الموقف ؟ قال : فنظر إليّ شبه المغضب ثمّ قال : يا بشير إنّ المؤمن اذا أتى قبر الحسين صلوات الله عليه يوم عرفة واغتسل بالفرات ثمّ توجه إليه كتب الله عزّ وجل له بكلّ خطوة حجّة بمناسكها ولا أعلمه الاّ قال غزوة «(٣٤) (جعفر بن محمد، ١٩٩٦م، ٣٥٧) .

إن تسجيل الحضور الفعلي للحاج المسلم الذي يؤدي فريضة الحج، ليس بالأمر اليسير بل يحتاج إلى قوتين مادية ومعنوية ، فمن لم تتوافر لديه إحدى هاتين القوتين فيمكنه زيارة قبر الحسين (عليه السلام)، لكن ملامح الزيارة والطواف حول القبر تحتاج إلى قلبٍ موالٍ وإلى عرفان كبير بحقّ الإمام الحسين وعظيم الخصال التي حفها الله إكراماً له، وعلى وفق ذلك ينال الزائر الأجر ذاته الذي يناله زائر الطواف في مكة، فالإمام الصادق في خطابه هذا يُشجع ويُنبه الموالي إلى عدم الانقطاع عن قبر الإمام الحسين، مع الكشف أيضاً عن الأثر الإيجابي الذي يُخلّفه الولاء الصادق لهم، لذلك ثمة اضعاف عديدة في العطاء (ألف حجّة وألف عمرة مبرورات متقبّلات وألف غزوة مَعَ نبيِّ مرسل أو إمام عادل) وثمة أجر كبير للموالي بكلّ ويقول الإمام الصادق موثقاً فرضية الزيارة:

لو أن أحدكم حج ألف حجة ثم لم يأت قبر الحسين بن علي (عليه السلام) لكان قد ترك حقاً من حقوق الله وسئل عن ذلك فقال: حق الحسين (عليه السلام) مفروض على كل مسلم ﴿ (٣٥) (محمد باقر، ١٩٨٣م، ٩٨/٥) .

جاء هذا الخطاب رداً على كل من يستخف بزائر الإمام الحسين (عليه السلام)، اذ الإمام الصادق (عليه السلام) بسياقه القوليّ او عز إلى القارئ والمُتلقي بمكانة الإمام وروحانية زيارته، فحج بيت الله الحرام هو فرض على كل مُسلم، لكن المُسلم حين يُحقق فعلية الحج دون

الالتفات إلى زيارة الإمام يكون بذلك قد ضيَّع حقاً، يكون بموازاة تضييعه للحقوق الشرعيَّة التي فرضها الله على عباده، وعليه فإن زيارة الإمام الحسين هي فرض وواجب تحقيق طقوسه روحانيته. اكتساب الأمان والتخلص من ترويع القبر.

عن الإمام الباقر عليه السلام أن زائر الحسين عليه السلام «يُفَسِّح له في قبره مدَّ بصره ويؤمِّنه الله من ضغطة القبر ومن منكر ونكير أن يروِّعانه» (٣٦) (محمد باقر، ١٩٨٣ م، ١٨ / ٩٨).

إن الإنسان بطبيعة الحال لديه مخاوف شعوريَّة من الموت والأجل الذي ينتظره في القبر، ولما كانت مكانة آل البيت عليهم السلام عند الله جل وعلا كبيرة، فهذه المكانة جعلتهم يمتلكون بها مفاتيح الأمور وتذليل الصعاب، فزائر الإمام الحسين الذي يزوره عارفاً بحقه مُستبصراً بمكانته ومُقرّاً بإمامته، يمنحه الله الأمان في القبر ويوسعه له، ويُخلِّصه من الترويع الحدتي لمنكر ونكير له، وبذلك ينال زائر الحسين أماناً واطمئناناً لا يناله أحداً

نتائج البحث

١. كان الإمام الصادق عليه السلام هو الواعظ الأمثل الذي ركز في خطباته على بيان مزايا زيارة الإمام الحسين عليه السلام وفضائل التمسك به .
٢. إن فلسفة العطاء الذي يمنحه الإمام الحسين عليه السلام لزارئيه يندرج تحت مُسمى إخلاص النية وطهارة القلب وروحانية الولاء .
٣. إن خطابات الإمام الصادق عليه السلام، التي تحث الموالي على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، للحصول على النعم في الحياة الدنيا، كانت تتعامل مع حضور الموالي تعاملاً روحياً وليس حضورياً فقط ؛ لأن روحانية الحضور كفيلة بتحقيق آثار العطاء الدنيوي أو الأخروي .
٤. إن أهم ركيزة في سياق خطاب العطاء المُتمثل في أقوال آل البيت عليهم السلام ولا سيما الإمام الصادق عليه السلام، هي العطاء الأكبر لله عز وجل وحده، ومن ثم منح مزاياه للإمام ؛ كونه الإمام الأجدر والأحق الأمثل بمنح مواليه عطايا امتثالهم الروحي .
٥. في نسق العطاء بشقيه الدنيوي والأخروي يرتكز على معيار إقرار الموالي بإمامة الإمام الحسين عليه السلام .
٦. إن خطابات الإمام الصادق عليه السلام، بيّنت ان الاعتقاد اليقيني للموالي وهو خط رحلته نحو الإمام يجعله في حالة تيقن وسمو وإدراك روحي بتسيير كل أموره الدنيوية وثبات البركة فيها .
٧. إن آلية العطاء ارتكزت على مبدأ روحي ونتاج فكري، شملته طقوسية الزيارة ؛ لكون الزيارة لا تنفرد بفتنة الرجال حصرأ بل ثمة تواشج وحضور فعلي للمرأة بوصفها الفاعل الاسمي في طقسية الزيارة .
٨. ركز الإمام الصادق عليه السلام في ثوابت العطاء الأخروي، على مفاهيم تسمو بالعقيدة الحقيقية والانتفاء الحق لمذهبهم، والذي على وفقه ينال الموالي أجر الآخرة ومنها كسب آلية الدخول إلى الجنة .

٩. ثمّة روحية عالية في نصوص الإمام الصادق (عليه السلام)، التي تحت الموالى على زيارة الإمام، فهم لا يشفعون لمواليهم في نسقية العطاء الأخرى، بناءً على تمسكهم الشكلى؛ لأنهم ربّما يوهمون انفسهم بأنهم ربّحوا الجنة وتجاوزوا نيران الآخرة، بل بخلاف ذلك فهم يفتقرون إلى نسق الثبات في الجنة وهناك نتيجة حتمية بخروجهم منها.

١٠. إن روحانية زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، تُورث الموالى الأمن والسكينة وليس هذا فحسب بل تُجنّبه نيران الآخرة وترفده بالملائكة التي تبشره بالجنة.

١١. الحجّ من أهم المناسك الواجبة التي فرضها الله لعباده، لكن هذه الفريضة يُمكن للموالى تعويض روحانية أجرها حين لا يملك القوة المادية والمعنوية بزيارة الإمام الحسين (عليه السلام)؛ لكونها فرضاً لكلّ موالى يقر بإمامته وهذا كرم إلهي خصّه الله بالإمام دون غيره.

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم .
١. إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، منشورات المكتبة الإسلامية، ط١ / ١٩٩٣ م.
٢. ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم، النهاية في غريب الحديث والأثر، مؤسسة إسماعيليان، ط٤ / ١٩٨٥ م.
٣. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨١ م.
٤. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط١ / ١٩٦٨ .
٥. إنجريت، ماكس إيه، التحفيز، ترجمة مكتبة جرير، ط١ / ١٩٩٨ م.
٦. بوهاها، عبد الرحيم، طقوس العبور في الإسلام (دراسة في المصادر الفقهية)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١ / ٢٠٠٩ م.
٧. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٥ / ١٩٨٣ م.
٨. الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت، ط١ / ١٩٦٥ .
٩. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن موسى بن بابويه، الأمالي، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، ط١ / ١٩٩٦ م.
١٠. الصمباني، حيدر، الأربعين وفلسفة المشي إلى الحسين (عليه السلام)، منشورات قسم الشؤون الفكرية والثقافية، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، ط١ / ٢٠١٥ م.
١١. علاقي، عبد القادر، إدارة الموارد البشرية، دار خوازم للنشر، جدة، ط١ / ٢٠٠٧ م.
١٢. الفقي، إبراهيم محمد السيد، قوة التحفيز، ثمرات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١ / ٢٠١١ م.

١٣. قولويه، جعفر بن محمد بن، كامل الزيارات، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط١ / ١٩٩٦ م.
١٤. المالكي، أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، دار الفكر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣ م.
١٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، لبنان، ط٢ / ١٩٨٣ م.
١٦. المخزومي، د. صادق، زيارة الأربعين (دراسة سوسولوجية ميدانية)، مؤسسة أديان للثقافة والحوار، النجف الأشرف، ط١ / ٢٠١٨ م.
١٧. المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير، مؤسسة الآفاق، طهران، ط١ / ١٩٩٨ م.
١٨. المطهر، الإمام جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف، تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية، مؤسسة الإمام الصادق، قم المقدسة، ط١ / ١٩٩٩ م.
١٩. المناوي، عبد الرؤف، التوقيف على مهمات التعريف، عالم الكتب، القاهرة، ط١ / ١٩٩٠ م.

